المصطلح النقدي في الدراسات العربية المعاصرة
بين الأصالة والتجديد
"الأسلوبية أنموذجاً"

د. خليل عودة

كلية الآداب – جامعة النجاح الوطنية

الملخص

تناول موضوع البحث قضية المصطلح النقدي في الدراسات العربية بين الاصالة والتجديد، ويتخذ من الأسلوبية نموذجا للدراسة، في محاولة لمعرفة جوانب التجديد في هذا المصطلح، مقارنة مع مصطلحات نقدية في الموروث النقدي، تقترب من مضمون هذا المصطلح، وربما تتساوى معه في الدلالة والمضمون، وبشكل خاص ما هو موجود في علم المعاني، الذي يعالج قضايا اللغة في النص ودلالاتها البلاغية.

Abstract

Critical Terminology in Contemporary Arabic Studies:
Originality and Modernism - Stylistics as an Example

This paper examines critical terminology between tradition and experimentation, and takes up stylistics as an example, in an attempt to locate modernization in this area, comparing it to terminology in the critical heritage. Such terminology in its modern contexts perhaps approximates that in the critical heritage, especially in Arabic semantics which treats language problems in text and its rhetorical implications.

مقدمـــــة

يتناول موضوع البحث إشكالية التعامل مع المصطلح النقدي الحديث، ويتخذ من الأسلوبية أنموذجاً للدراسة، في محاولة للربط بين المصطلح الحديث، وأصوله في الموروث النقدي والبلاغي، يرى البحث أن الحداثة لا تعني مجرد وضع مصطلح جديد لمضمون نقدي قديم، وإنما الاستفادة من مضمون المصطلح الجديد، وما فيه من عناصر إيجابية قادرة على تحليل النص الأدبي، والكشف عن جمالياته، والوصول بالقارىء إلى مستوى أعمق من الفهم، تضاف إلى العناصر الإيجابية الفاعلة في الموروث النقدي والبلاغي، ولا تشكل بديلاً عنها.

والأسلوبية من المصطلحات النقدية الحديثة، التي تركز على دراسة الظاهرة اللغوية في النص الأدبي، ومحاولة إيجاد صلة بين اللغة الفنية المشكلة للنص، والدلالات التي يمكن عن طريقها الوصول إلى المعنى الغائب منه، ولهذا تركز على استخدام الكلمات المفردة، وانتظامها في

جمل، وانتظام الجمل في فقرات، وما يصاحب ذلك من استخدامات خاصة تفرض نفسها على النص، وتلفت نظر القارىء لها . والمتتبع للمنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي، يلاحظ أن هذا المنهج لا يعد نقلة نوعية في مجال الدراسات النقدية الحديثة، فقد ركزت البلاغة القديمة على موضوع الـ نظم، وعلاقته باللغة، وعلاقة ذلك بالمعنى، وهذا يتصل – بشكل أو بآخر – بموضوع علم المعاني. وإذا كانت الأسلوبية الحديثة لا تقدم منهجاً نقدياً متكاملاً، فإنه في المقابل لا يمكن تصور منهج نقدي متكامل في الدراسات البلاغية والنقدية القديمة . والمتتبع لملاحظات عبد ا لقاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز وحديثه عن علاقة اللفظ بالنظم، وعلاقة المعنى الظاهر بمعنى المعنى، وملاحظات السكاكي في فضل علم المعاني في معرفة خواص تراكيب الكلام، يجد فيها تأصيلاً جاداً للمفهوم الذي اعتمده أصحاب المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي . ولا نقصد بذلك جعل علم المعاني بديلاً عن الأسلوبية بمعناها الحديث، أو جعل الأسلوبية بديلاً عن علم المعاني في إطار فهم القدماء، ولكن ما نقصده هو إمكانية ربط المصطلح الحديث – أياً كان مع مدلولاته في التراث العربي القديم . بهدف تعميق وعينا بالتراث والاستفادة مـ ن الدراسات المعاصرة، فالأمر لا يتعلق بمصطلح جديد، أو البحث عن مسميات جديدة، وإنما بالفائدة التي لا تلغي القديم لقدمه، ولا تأخذ بالجديد لجدته.

إشكالية المصطلح :

تشكل الدراسات النقدية المعاصرة، نموذجاً جديداً من نماذج النقد العربي، التي تتجذب تارة نحو القديم، وتارة نحو الحداثة والمعاصرة، وفي الانجذاب الثاني تزدحم مصطلحات نقدية وافدة، بعضها مترجم، وبعضها معرب . وتختلف هذه المصطلحات في مفهومها ودلالتها من باحث إلى آخر، حسب درجة وعيه بالمصطلح، ومنهجه في الدراسة، الأمر الذي يجعل الدراسات النقدية الحديثة تسير في اتجاهات مختلفة تحددها أدوات تعبيرية غير محددة، تحكمها مجموعة من العوامل التي تتصل بتنوع الثقافات والعلاقات القائمة بين الدراسات النقدية المعاصرة، ومباحث لغوية، وفلسفية، واجتماعية، ونفسية، وجمالية تفرض نفسها على دلالة المصطلح النقدي، وكيفية التعامل معه"ومن الملاحظ أن بعض المترجمين يُقدمون على الترجمة دون تسلح كاف بأدواتها ومطالبها، ولذلك يعمدون إلى الترجمة الحرفية أو الترجمة الركيكة، وهذه الترجمة – بخاصة في نقل المفهوم والمصطلح – تمثل أضعف الوسائل الاصطلاحية لأنها تحبس اللفظة في جمود عديم الفائدة . ومن نتائج الترجمة غير الدقيقة ومن نتائج التسرع والارتجال في وضع المصطلح أن صار المفهوم الأجنبي غامضاً عند وضعه مصطلحاً في العربية رغم أن دلالته قد تكون واضحة في لغته الأصلية، وهذا ما يؤدي إلى

شيوع الإبهام والغموض"[1] وما يزيد المشكلة تعقيداً هو الانجذاب نحو المصطلح النقدي الوافد بكل تداعياته، وجعله أساساً في الدراسة النقدية المعاصرة، الأمر الذي يفقد – في كثير من الأحيان – إمكانية الاستفادة من الموروث النقدي على مستوى مقارنة المصطلح الوافد بالمصطلح القديم، أو استبداله بما هو موجود في التراث من مصطلحات نقدية معروفة، تسهل عملية الخطاب والتلقي في الدرس النقدي الحديث، وقد أشار د. محمد عبد المطلب إلى هذا في معرض حديثه عن مصطلح (الشعرية) الحديث، ورأى أن "مصطلح النظم الذي وصل به عبد القاهر الجرجاني إلى قمة النضج، يؤدي مهمة مصطلح الشعرية على وجه أدق. لأنه في أصوله الوافدة يقتصر على تمثيل الدراسة اللغوية للوظيفة الشعرية في أي خطاب لغوي شعرياً كان أم نثرياً". وهذا بالضرورة يرتبط بالناقد وقدرته في التعامل مع المصطلح، وفق ثقافته الخاصة، وقدرته على استيعاب القديم، والاستفادة من الحديث، وتوسيع دائرة هذه الثقافة لتشمل المحتوى الفكري" والمرجعيات لا تتحدد بثقافة الناقد أو بانحيازاته؛ وإنما تتعدى ذلك إلى فضاءات هذه الثقافة واشتباكاتها، وكذلك إلى المواثيق والسنن والتواطؤات التي يشتغل فيها أو ضدها النقد بـ هيئته الفاعلة في تغذية الذوق "[2] وبهذا تتشكل معضلة معنى المصطلح النقدي الذي يقترب أو يبتعد من المصطلح بحسب فهم الدارس له" فالناقد أحياناً يشرح مفهوم المصطلحات التي يستخدمها في دراسته في ضوء معرفته بالمصطلحات الغربية، وأحياناً يكتفي بربط المصطلح العربي بالمصطلح الأجنبي، كأن يكتفي بوضع الأصل الفرنسي أو الإنجليزي بجوار المصطلح العربي المقترح، وأحياناً نرى الناقد يستخدم المصطلح حسبما يعن له، واضعاً إياه في مواضع يفهم منها أنه يقصد مفاهيم يمكن التكهن بها من خلال الدلالة اللغوية للفظ الاصطلاحي، وحيناً رابعاً نرى الناقد يستخدم اللغة الأدبية في وصف الظواهر الفنية في العمل الأدبي، وبهذا فإن المفهوم الذي يمكن الإشارة إليه بكلمة واحدة يظل الناقد يوحي به عن طريق المجاز حيناً، والتشبيه حيناً آخر، وضرب الأمثلة حيناً ثالثاً "[3]، وقد يجد بعضهم في المصطلحات الجديدة فرصة للثورة على المصطلحات التراثية القديمة، أو محاولة

(1) أبو شاويش، حماد: مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث، مجلة كلية التربية – المجلد الأول، العدد الأول، يناير 1997، ص 205.

(2) الموسوى، محسن جاسم: مرجعيات نقد الشعر العربي الحديث في الخمسينيات، مجلة فصول – المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، جـ2، خريف 1996، ص 34.

(3) عبد الرحيم، محمد: أزمة المصطلح في النقد القصصي، مجلة فصول – المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، إبريل – سبتمبر 1987، ص 99، 100.

رفضها؛ الأمر الذي يبتعد بالد راسات النقدية الحديثة عن الأصول المكونة لثقافتنا الأدبية، ومناهجنا النقدية، ولا يعني ذلك أننا نرفض الاستفادة من المناهج النقدية الحديثة، أو ما توصلت إليه مدارسهم في مجال إبداعات النقد، بل على العكس نحن نشجع على ذلك، ولكن على أساس الفائدة القائمة على أمرين :

أولهما : الاستيعاب الصحيح، والفهم الواعي لمناهج النقد الغربي ومصطلحاته المستخدمة في حدود اللغة العربية، ونماذج الأدب التي يمكن التطبيق عليها في هذه اللغة.

وثانيهما: عدم إهمال المخزون التراثي في مجال النقد ا لعربي ومصطلحاته المستخدمة، فإذا كان المصطلح الـ وافد لا يختلف عن مضمون مصطلح تراثي قديم، فلا ينبغي التمسك بمصطلح جديد لمضمون قديم، إذ ليست الحداثة في المصطلح، وإنما في مضمونه وقدرته على الإفادة في تحليل النص، والوصول بالقارئ إلى فضاءات جديدة من المعرفة، والتفاعل مع النصوص الأدبية.

مفهوم الأسلوبية :

يعد مصطلح الأسلوبية من المصطلحات النقدية الوافدة التي تدور كثيراً في الدرس النقدي العربي. ويعتمد عليه كثير من النقاد في تحليل النص الأدبي وتقديمه للقراء، " وقد نشأ " علم الأسلوب " الحديث أو " الأسلوبية " الحديثة مستنداً إلى نشأة علم اللغة الحديث وتطوره، ولم تـ كن " الأسلوبية " في أول الأمر، سوى منهج من المناهج اللغوية المستخدمة في دراسة النصوص الأدبية، ولا يزال هناك الكثير من الباحثين ينظرون إلى " الأسلوبية " باعتبارها منهجاً مستوحى من المناهج اللغوية، كما لو كان مجرد وصف لغوي للنصوص الأدبية، ولهذا السبب يعدها بعض هؤلاء الباحثين فرعاً من فروع علم اللغة العام "[1]. وإذا كانت الأسلوبية الحديثة تركز على دراسة اللغة في النص الأدبي، فإنها – بلا شك – تستفيد من الملاحظات اللغوية التي تساعد الناقد على التعامل مع النص، " وإمكانية استخدام اللغة، تحمل – ضمناً – إمكانية تعدد هذا الاستخدام، نتيجة لتمايز الوسيلة التعبيرية، وهنا يكمن الفارق بين مبدع وآخر، حيث يكون لكل منهما منطقة أثيرة

---

(1) عياد، محمود : الأسلوبية الحديثة، محاولة تعريف، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، يناير 1981، ص 124.

يتحرك فيها لغوياً، ونحوياً، وبلاغياً، فيصنع لنفسه معجماً ينغلق عليـه"[1] وهـذه الإمكانات اللغوية التي تشكل ظواهر أسلوبية مميزة في النص، تشكل أساساً لفهمه من خلال ربط الأنساق اللغوية بالمعنى، وكيفية تقديمه في صيغ مختلفة،" ويقودنا هذا الربط بين الأسلوبية والدراسة اللغوية إلى الفرضية الأساسية للعلم نفسه. وتقوم هذه الفرضية على أساس أن النص الأدبي نص لغوي، لا يمكن سبر أغواره دون تحليل العلاقات اللغوية الـ تي ينطوي عليها، ذلك لأن هذا التحليل هو الذي يقودنـا إلى تفهم الشحنة الدلالية والعاطفية الكامنة في النص،والتي تؤثر في المتلقين . ولا يعني هذا كله شيئاً أكثر من أننا قراء ونقاد، لا يمكن أن ننفذ إلـى قيمـة العمـل الأدبي إلا من خلال النص ذاته "[2]وهذا يعني ببساطة أنن ا ندرس النص بحد ذاتـه، وليس ما يحيط بالنص من أمور قد تتصل بالبيئـة الاجتماعيـة أو الـسياسية أو الاقتصادية، أو علاقات المبدع بالعوامل المؤثرة المحيطة بـه علـى المـستوى الشخصي، أو على مستوى الواقع الذي يحيط به . وإذا كانت دراسة النص الأدبـي قـد تعرضت لمراحل من الضعف بـ سبب محاولات تبسيط النص، والخروج به من مستوى المبـدع إلى مستوى المتلقي، فإن الدراسة الأسلوبية تتجاوز مرحلـة التبسيط هذه إلى مرحلة أعمـق عندما تتعامل مع لغة النص تعاملاً فنياً، مـن خلال إبراز الظواهـر اللغويـة المميـزة، ومحاولة إيجاد صلة بينها وبين الدلالات الـ تي عن طريقها يمكن الوصول إلى المعنى الغائـب في النص، وبذلك تتشكل القيمة الفنية للغة التي يتشكل منها الـنص، والتـي يمكـن بـالمنهج الأسلوبي التعرف عليها من خلال وضع الكلمات في أنساق تعبيرية، ثم انتظام هذه الكلمات في جمل، وانتظام الجمل في فقرات، وتضافر هذه الأنساق مع المعنى. وبـذلك تركـز الدراسـة الأسلوبية أصلاً على دراسة الجزئيات اللغوية في النص، للوصول إلى دراسة شاملة، أي أنهـا تبدأ من الجزء وتنتهي إلى الكل" ومن المهم الإشارة إلى أن التناول الأسلوبي إنمـا ينـصب على اللغة الأدبية؛ لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأ داء، بما فيه من وعـي واختبـار، وبما فيه من انحراف عن المستوى العادي المألوف، بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية، والتي يتبادلها الأفراد بشكل دائم وغير متميز، وليس معنى هذا أننا نقيم حاجزاً صلباً بين اللغة

---

(1) عبد المطلب، محمد : قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، ط دار نوبـار للطباعـة، القـاهرة – الطبعة الأولى 1994، ص 85.

(2) عياد، محمود : الأسلوبية الحديثة، محاولة تعريف، ص 124.

الأدبية ولغة التخاطب، لأن الأولى تستمد وجودها – بلا شك – من الثانية، فتقيم منها أبنية وتراكيب جديدة في الصوت والكلمة والجملة، ثم القطعة بأكملها "[1]. والتصرف في اللغة وفق نمط أسلوبي مكرر، يكسب هذا النمط ظاهرة مميزة في النص، تشكل أساساً لدراسة أسلوبية تعتمد رصد الظاهرة اللغوية وتحليلها، فمثلاً اعتماد الكاتب ضميراً بعينه في سياق النص وتكراره، يمثل نمطاً في أسلوب التعبير يعكس وعي الكاتب بلغته التي يشكلها، وقدرته على توظيف اللغة، واستغلال طاقاتها الإبداعية من أجل تقديم المعنى الذي يريده باللغة التي تعكس إحساسه بهذا المعنى، وقدرته على توصيله بالطريقة التعبيرية التي يريدها، ومثل هذا يقال في أنساق تعبيرية يتم فيها تقديم العامل على المعمول، أو بلغة البلاغة العربية، تقديم القيد على المسند إليه، وتوظيف الأفعال الماضية أو المضارعة، واستعمال أسلوب الحذف والتكثيف، إلى غير ذلك من الوسائل التعبيرية التي يعتمدها الكاتب في النص الأدبي، وتشكل مصدراً من مصادر الدراسة الأسلوبية، في وعي المتلقي مع اللغة التي يشكلها الأديب، ويجعل منها وسيلة خطاب أدبي يعتمد عليه أساساً في توصيل أفكاره وانفعالاته إلى الآخرين" فاللغة تدل في الأدب بكيفية من أهم خصائصها تراكب السنن اللغوية التي بدونها يستحيل ذلك التحول شرط التوظيف الأدبي للغة وضعف الصلة بين العلامة ومرجعها وانطماس" الشفافية" التي تربطها في الإبلاغ العادي حيث تهتم بالأشياء ذاتها بينما نهتم في الأدب بالنص . فالاهتمام بالبنية اللغوية ضروري، وكل مباشرة للنص وجب أن تنطلق من لغته باعتبارها وسيلة الأدب وغايته والنظام الذي يصرح أو يوحي بكل مضامينه"[2].

جوانب النقص في الدراسة الأسلوبية :

قد لا تساعد الدراسة الأسلوبية – باعتبارها منهجاً مستقلاً في دراسة النص الأدبي – في تحقيق الغاية المرجوة من هذه الدراسة، والسبب في ذلك يرجع إلى جوانب النقص التي تصاحب الدراسة الأسلوبية كمنهج متكامل في دراسة النص الأدبي وتحليله، فهي تعتمد على دراسة الظواهر اللغوية بالقدر الذي تحققه هذه الدراسة في تتبع خواص اللغة، واكتشاف دلالاتها الرامزة، فإنها في المقابل لا تعطي تصوراً كاملاً لدراسة نقدية تعالج النص من جميع جوانبه، واتجاهاته الفنية" وإذا قلنا إن" الأسلوبية" بكشفها عن التباين الأسلوبي إنما تقودنا إلى عمليات التوصيل، وتلفتنا إلى طبيعة الرسالة" في النص الأدبي، إذا قلنا هذا كله فإن علينا أن نلاحظ أن الأسلوب في ذاته، لا يمكن أن يكون مساوياً لجميع الظواهر اللغوية للنص الأدبي، ومن الممكن أن نقول إن هناك ظواهر أخرى كثيرة، لا تستطيع" الأسلوبية"

(1) عبد المطلب، محمد : البلاغة والأسلوبية ، ص 186.

(2) صمود، حمادي : في نظرية الأدب عند العرب، ط النادي الأدبي الثقافي بجدة – المملكة العربية السعودية ، العدد 64، 1411هـ –1990م، ص 210.

بوضعها الحالي أن تتعامل معها، بسبب ما في مناهجها نفسها من قصور . ومن أهم الظواهر التي عجزت المناهج اللغوية، المتمثلة في الأسلوبية عن معالجتها، ظاهرة الأبنية البلاغية التي تفوق التركيب الواحد، ومنها الأبنية العليا الشاملة في النصوص الأدبية"[1]. ومن جوانب النقص في الدراسة الأسلوبية عدم التفاتها إلى الجوانب الأخرى المكملة للنص الأدبي، والتي تتصل بجوانب تخص الرصيد المعرفي لكاتب النص، من حيث علاقاته بالمجتمع، والمؤثرات المختلفة منه، أو علاقة النص بغيره من النصوص، أو الأنماط الأدبية بشكل عام، الأمر الذي يفقد الدراسة بعدها المعرفي الشمولي على مستوى الجنس الأدبي الواحد، أو على مستوى الأديب، والمؤثرات المشكلة لشخصيته الإبداعية، أو الإنتاجية" إن اقتصار الدراسات الأسلوبية على الظواهر اللغوية والبلاغية، وأنماط طرق الأسلوب العادي ... ألخ، قد أدى بوضع" الأسلوبية" في طريق مسدود، أو هو كذلك في الوقت الحاضر على الأقل ولا سبيل، والأمر كذلك، أمام الأسلوبية الانفراد، دون النقد الأدبي بالأحكام الأدبية، ذلك لأن" الأسلوبية" حددت نفسها منذ البداية بالأحكام اللغوية . ولكن الأدب ظاهرة شمولية تجمع كل الظواهر الاجتماعية والثقافية والحضارية ... ألخ، ولا سبيل للأسلوبية بأدواتها اللغوية البحتة أن تطمح إلى إطلاق الأحكام الاجتماعية والثقافية، أو سبر أغوار رؤى الكاتب الاجتماعية وغيرها، بأدواتها اللغوية الجزئية في النهاية"[2]. وقد تتحول الدراسة الأسلوبية عن هدفها الرئيس في رصد الظواهر اللغوية في النص الأدبي، وتوظيفها في عملية التحليل؛ إلى مجرد عملية إحصائية تفقد قيمتها الفنية، وقدرتها على نقد النص الأدبي وتجليته للقارئ" وربما لقي المنهج الإحصائي ما لم يلقه غيره من نقد وتجريح، لأننا عندما نعمد إلى الإحصاء في دراسة الأساليب نحيل اللغة الأدبية إلى شيء بلا لون ولا طعم، إذ نهمل ما في التراكيب المتعلقة بالتعبير من إحساسات تتصل بالعالم النفسي. والمجال اللغوي بطبعه يتصل بعالم الإحساسات، وبذلك نتفادى الوقوع في صناعة قوائم مملة لا نهاية لها"[3]. ومن جوانب النقص في الدراسة الأسلوبية عدم قدرتها على ضبط الظاهرة اللغوية في النص الأدبي، أو وضع معيار ثابت في رصد هذه الظواهر، الأمر الذي يفتح المجال واسعاً أمام المتلقين وفق إمكاناتهم اللغوية، وقدرتهم التحليلية على فهم النص والتعامل معه، ومعنى ذلك أن النص الأدبي يظل خاضعاً للدراسة وفق تعدد الدارسين، وقدرتهم على التحليل اللغوي في النص الأدبي.

([1]) عياد، محمود : الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف، ص 129.

([2]) المرجع السابق نفسه، ص 130.

([3]) عبد المطلب، محمد : البلاغة والأسلوبية، ص 198، 199.

كما أن الدراسة الأسلوبية تفترض أن يبدأ الدارس من بداية محددة وهي اللغة، أي أنها تفرض على الدارس النقطة التي ينطلق منها إلى دراسة النص ، وهي بهذا تقيد خطواته منذ البداية، وتضعه في طريق ذي اتجاه واحد، وعليه أن يسير فيه.

علاقة الأسلوبية بالدراسات النقدية والبلاغية الموروثة :

لا تبدو "الأسلوبية"، وفق المفهوم السابق، منهجاً نقدياً متكاملاً يمكن الاعتماد عليه في تحليل النص الأدبي، وفهم معناه، كما أنها لا تشكل في إطارها العام نقلة نوعية جديدة في مجال الدراسات النقدية، أو خروجاً عن المألوف في الدراسات النقدية والبلاغية القديمة، التي تعاملت مع لغة النص وصولاً إلى المعنى " إن الانتباه إلى أهمية الجانب اللغوي في معرفة النص الأدبي، وتحديد خصائصه اﻟ نوعية قديم، فلقد قامت الممارسات النقدية الأولى – في قسم كبير منها – على لغة النص طريقة لتقريبه من الأفهام والأذاوق، ومن الحضارات ما قام النقد فيها – إذا استثنينا بعض القضايا الثانوية – على البعد اللغوي أساساً، ولعل أحسن نموذج لذلك النقد العربي القديم باعتبار البلاغة وهي الجهاز المفهومي النقدي الوحيد الذي ولدته ممارسة العرب للبعد الفني في النص الأدبي – نشاطاً لغوياً قبل كل شيء"[1]. وهذا يضعنا أمام تساؤل حول علاقة الأسلوبية بالدراسات البلاغية والنقدية القديمة، وهل نجد في التراث بديلاً عن الأسلوبية بمفهومهالحديث، أو ما يقترب من معناها ؟ هذا التساؤل يحيلنا إلى مجموعة من الحقائق البلاغية والنقدية التي نحاول من خلالها إيجاد عناصر الالتقاء بين الدراسات القديمة، والدراسات الأسلوبية الحديثة، وفي هذا الصدد تحدث الهادي الطرابلسي عن علاقة الأسلوبية بالتراث في الندوة ا لتي نشرتها مجلة فصول عن الأسلوبية، وقد تساءل "عن انتشار الحديث كثيراً في هذا الوقت عن الأسلوبية وعلاقتها بالتراث العربي، وانتهى إلى أنه لدينا تراث بلاغي في علم البلاغة، والقضايا مطروحة فيه بطرق متقاربة، تعتمد على أمثلة متنوعة، لكنها متشابهة، وقليل منها طرح طرحاً أسلوبياً حديثاً . بيد أن ثمة قضايا نظر إليها من قبل على أنها تدخل ضمن علم البلاغة القديمة، أرى أننا ينبغي أن ندرجها اليوم تحت عنوان" الأسلوب والأسلوبية" كما دلت على ذلك دراسات كثيرة"[2]. وبهذا الفهم لا يمكن فصل الأسلوبية عن الدرس البلاغي القديم، إ لا من حيث المصطلح، وبعض التفصيلات التي لا تجعل من الأسلوبية منهجاً جديداً في الدراسات النقدية الحديثة، وبناء على هذا الفهم لا يمكن التعامل مع الأسلوبية بمعزل عن الأسس التي اعتمدت في دراسة النص الأدبي وكيفية تحليله ، ولا يمكن تصور الأسلوبية في نمط جديد من الدرس النقدي لا يتفق أو يلتقي مع ما تم تأصيله في هذا

---

(1) حمود، حمادي : في نظرية الأدب عند العرب، ص 194.

(2) الطرابلسي، الهادي : الأسلوبية، مجلة فصول – المجلد الخامس، العدد الأول، أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر 1984، ص 214.

المجال،ليقيت الأسلوبية جديدة إلا باندماجها في إطار علمي خاص . فالكثير من أسسها مركز من عهود بعيدة، علاوة على أن أية نزعة من نزعات شرح النصوص لم تخل – منذ القديم –من اتجاهات أسلوبية"[1]. وإذا كانت الأسلوبية تعتمد اللغة أساساً في دراسة النص الأدبي، والكشف عن جمالياته من خلال رصد الظاهرة اللغوية وتحليلها، وصولاً إلى القيمة الجمالية في النسق التعبيري الذي يصاحب هذه الدلالة، فقد كانت البلاغة القديمة في هذا الصدد تلجأ إلى فكرة "قوائم القيمة الثابتة"، التي تسند إلى كل شكل تعبيري "قيمة جمالية" محددة"[2]. وقد ركزت البلاغة القديمة على موضوع النظم، وعلاقته باللغة، وعلاقة ذلك كله بالمعنى، وفي هذا السياق يقول عبد القاهر الجرجاني "واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا حال ما يضع بيساره هناك . نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة"[3].

وفكرة النظم التي ركز عليها البلاغيون القدماء في دراسة النص، وتوظيفها لخدمة المعنى، هي في أصلها دراسة لغوية تساعد أصحاب الدرس البلاغي في معرفة خصوصية المعنى المعتمد على خصوصية التركيب، وهذا يتصل – بشكل أو بآخر – بموضوع علم المعاني الذي عرفه السكاكي بأنه" تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام، التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء الصادرة عن سواهم "[4]. وإذا كانت الأسلوبية الحديثة لا تقدم منهجاً متكاملاً في الدراسات النقدية، يمكن الاعتماد عليه في تحليل النصوص الأدبية، فإنه في المقابل لا يمكن تصور وجود منهج متكامل في الدراسات البلاغية والنقدية القديمة،"ولا شك أيضاً

---

(1) الجويني ، مصطفى الصاوي : المعاني – علم الأسلوب ، ط دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية 1996، ص 242.

(2) درويش، أحمد : الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه الأسلوبية، ص 64.

(3) الجرجاني، عبد القاهر : دلائل الاعجاز، ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، الطبعة السادسة 1380هـ – 1960 م، ص 74 ، 75.

(4) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي : مفتاح العلوم، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ص 70.

أن مفهوم (النظم) عند "عبد القاهر" قاصــر عــن أن يكــوّن نظرية في "النصوص الأدبيــة" بشكل عام، ولكن هذا القصور نفسه موجود بدرجات متفاوتة في اتجاهات "الأسلوبية"[1].

وإذا كانت الأسلوبية تتعامل مع الظواهر اللغوية في تميزها داخل النص وصولاً إلى المعنــى، واختلاف التركيب المعتمد على التقديم أو التأخير، والتكرار، واستخدام صيغ لغويــة خاصــة، فإن هذا لا يبتعد كثيراً عن ملاحظات عبد القاهر الجرجاني عندما ربط بين الكــلام وأصــول علم النحو "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمــل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: " زيد منطلق، وزيد ينطلــق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلــق، وزيــد هــو منطلق. وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج . وفي الحــال إلى الوجوه التي تراها في قولك جاءني زيد مسرعاً، وجاءني يسرع، وجاءني وهو مسرع، أو هو يسرع، وجاءني قد أسرع، وجاءني وقد أسرع . فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء بــه حيث ينبغي له"[2]. وهي فكرة لا تختلف كثيراً عن المبدأ الذي تعتمده الأسلوبية الحديثــة فــي تعاملها مع هذه الأنساق اللغوية، واختلاف تركيبها أو نظمها بحــسب المعنــى الــذي يمكــن التوصل إليه، فالعبرة ليست في اللفظة بحد ذاتها، وإنما في المعــنى الــذي يمكــن أن تؤديــه في السياق العام ، ذلك أن "الألفاظ المفردة التي هي أَوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها فــي أَنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد، وهــذا علــم شــريف، وأصل عظيم، والدليل على ذلك أَنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضــعت ليعرف بها معانيها في أَنفسها، لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعرف بها"[3]. فهذا الذي ينتهي إليه عبد القــاهر الجرجاني" يستند إلى نظرية في اللغة أرى فيها ويرى معي كل من يمعن النظر، أنها تماشــي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء. ونقطة البدء نجدها في آخر " دلائــل الإعجــاز " حيث يقرر المؤلف ما يقرره علماء اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة

---

(1) أبو زيد، نصر: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية، مجلة فصول – المجلد الخامس، العدد الأول 1984، ص 23.

(2) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 66، 67.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 340.

من العلاقات (System des rapports). على هذا الأساس العام بنى عبد القاهر كل تفكيره اللغوي الفني"[1]. ويؤكد د.مندور على ا لصلة الوثيقة بين أفكار عبد القاهر الجرجاني، ومدارس التحليل اللغوي المعاصر، من حيث توظيف اللغة في خدمة المعنى، والوصول بها إلى الغاية المرجوة، من خلال الألفاظ المشكلة للغة"ونحن لا نستخدم ذلك اللفظ لنحرك الصورة الذهنية تحريكاً نريده لذاته، وإلا كنا مجانين، وإنما نفعل ذلك لأننا نعتزم أن نخبر عن "الرجل" بشيء ما، وهنا يلحق الجرجاني بأكبر مدرسة حديثة في تحليل اللغة، أعني مدرسة العالم، السويسري الثبت رأس علم اللسان الحديث فرديناند دي سوسير F.de Saussure ثم اللغوي الفرنسي الذائع الصيت أنتوان مييه A. Meillet"[2].

والاعتماد على اللغة في فهم النص – كما تقرر الأسلوبية الحديثة – ليس جديداً في الدراسات النقدية والبلاغية، فإشارات عبد القاهر الجرجاني، تعد تأصيلاً لهذا المفهوم الذي اعتمده أصحاب المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي"والأمر يكاد يختلف إلى حد كبير إذا نظرنا إلى الدراسة البلاغية التي تستمد عطاءها من النحو الإبداعي، وإذا غضضنا النظر عن الدراسات الجزئية السابقة على عبد القاهر الجرجاني فسوف نجد"دلائل الإعجاز" بداية لتحرك صحيح نحو نظرية لغوية في فهم النص الأدبي، ينتهي بها الأمر إلى نوع من التركيز حول دراسة الأسلوب في ذاته من خلال مفهوم النظم، وهو مفهوم اعتمد على التركيب اللغوي الذي يتصل باللفظ المنطوق والكلام النفسي "[3]. وهذه الملاحظات النقدية التي أدركها عبد القاهر الجرجاني من خلال مفهومه للنظم، جعلت الدكتور شفيع السيد يقرر بأن عبد القاهر الجرجاني "سابق – في عالمه النقدي الرحب – لموكب الدراسات الأسلوبية المعاصرة"[4].

وفي سياق آخر من بحث عبد القاهر الجرجاني في العلاقة بين اللفظ والنظم تعمق كثيراً في خصوصية المعنى، وأدرك العلاقة القائمة بين المعنى الظاهر، ومعنى المعنى الذي يمكن التوصل إليه عن طريق تجاوز ظاهرة المعنى في اللفظ، إلى خصوصية المعنى فيما وراء اللفظ" وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ و الذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"[5]. وهذا يعني

---

(1) مندور، محمد: في الميزان الجديد، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة، ص 185.

(2) المرجع ص 186.

(3) عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، ص 260.

(4) السيد، شفيع: الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، ط دار الفكر العربي، القاهرة 1407 هـ، 1986م، ص 22.

(5) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 175.

محاولة إدراك المعنى ليس – فقط – من خلال التركيب المباشر لمفردات اللغة، وإنما من خلال العلاقات اللغوية المتبادلة بين هذه المفردات" فهذه المجموعة المتداخلة من العناصر المفضية إلى معنى المعنى إنما تسلك النشاط اللغوي الخاص (نشاط المتكلم في كل حالة على حدة، ونشاط المخاطب في هذه الحالة) في إطار النشاط اللغوي العام بما هو انعكاس لمستويات مختلفة من وعي المجتمع بوظيفة اللغة فيه . ذلك بأن نظرية معنى المعنى ليست نظرية في الإنشاء الكلامي بقدر ما هي تشخيص لظاهرة في الاستخدام اللغوي، معينة لمستوى متقدم من هذا الاستخدام"(1).

وفي الدراسات البلاغية القديمة، يؤكد السكاكي فضل علم المعاني في معرفة خواص تراكيب الكلام، وانطلاقاً من هذا الفهم يمكن الرجوع بالأسلوبية إلى الأصول الأولى في الدراسات البلاغية القديمة، ونقصد بذلك علم المعاني الذي يتعامل مع البنية التركيبية للجملة، وعلاقتها بالمعنى" إن التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط بتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار، ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئاً فشيئاً على موجب المساق والسابق في الاعتبار في كلام العرب"(2).

وعند مقارنة علم المعاني بعلمي اللغة والنحو، على أساس أنه يعتمد عليهما أصلاً في تركيب الكلمات وبناء الجملة، ويخرج من خلال توظيفهما إلى معان تتجاوز مجرد التركيب الشكلي الظاهر، إلى دلالات غير مباشرة، تفرضها خصوصية السياق، فإن هذه المقارنة تحيل القارئ إلى تساؤل عن فائدة علم المعاني، باعتباره يعتمد أصلاً على النحو واللغة، ويجيب بهاء الدين السبكي على ذلك قائلاً" كلا إن غاية النحوي أن ينزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها، ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه لا تتناهى، وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني"(3).

وفهم عبد القاهر الجرجاني لفكرة النظم، ومعنى المعنى، يتجاوز مجرد التركيب النحوي أو اللغوي، إلى وظائف تحددها طبيعة الجمل التي يتشكل منها النظم الأسلوبي، وهو بذلك قد" بحث أسرار الجمال في نظم الجملة العربية الناتج عن أسرار التركيب، لأن النظم في العبارة

---

(1) اسماعيل، عز الدين : قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول – المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، إبريل – سبتمبر 1987، ص 41.

(2) السكاكي، أبو يعقوب يوسف : مفتاح العلوم، ص 71.

(3) السبكي، بهاء الدين : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (مطبوع في كتاب شروح التلخيص) القاهرة – 1937م، ط، ص 51.

الأدبية يحمل أكثر مما تؤديه الجملة، بجريها على النحو، فإن هناك قوى يبثها المؤلف فيها، عن غير عمد حيناً، وعن عمد حيناً آخر"[1].

وإذا كانت الدراسات النحوية قد ركزت بشكل أساسي على دراسة بناء الجملة، وسلامة تركيبها، ومعرفة أحوالها، فإن البلاغة العربية من خلال علم المعاني قد ركزت على مكملات هذه الدراسة، فعالجت موضوع المعنى من خلال بناء الجملة، وانزياحها عن الأصل الذي وضعت له، أو خروجها من الثابت في مقاييس النحاة، وأصحاب اللغة، فمجال الدراسة النحوية يعتمد أساساً قواعد ثابتة في بناء الجملة، وتركيب المفردات" وربما فرقوا بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية. أما ما وراء ذلك من وظيفة كل من أنواع الإسناد، وربط هذه الوظيفة بمقتضى الحال، ورعاية المقام عند اختيار أحد الإسنادين، فلم يكن من هموم النحاة، ولم يخطر لهم أن يضمنوا نظريتهم شيئاً عن مكان المتكلم أو السامع من الخطة العامة للاتصال اللغوي . ثم جاء دور البلاغيين فانطلقوا من النقطة التي انتهى عندها النحاة، وألقوا نظرة على تركة النحاة ليستخرجوا منها عناصر تربط النظر النحوي بالاستعمال التطبيقي، فوصلوا بجهودهم إلى طائفة من الأفكار المهمة التي تجعل لعملهم وزناً ملحوظاً حتى بالنسبة للدراسات الأسلوبية الحديثة"[2].

وبهذه العلاقة الجدلية بين اللغة و البلاغة نشأت علاقة وثيقة بينهما على أساس أن البلاغة استفادت من ملاحظات اللغويين والنحويين في مجال بناء الجملة وتركيبها، والتغييرات التي تطرأ عليها من تقديم أو تأخير أو حذف أو تكرار، وما يترتب على ذلك من علاقة بالمعنى وخصوصية في تقديمه.

وإذا كانت البلاغة قد استفادت من المعطيات اللغوية ، فإن هذه الفائدة – بلا شك – سوف تتضاعف وتقوى في ظل تطور الدرس اللغوي الحديث، وما أفادته الأسلوبية الحديثة في هذا المجال، مما يعني وجود علاقة أقوى بين الدرس اللغوي والدرس البلاغي"لكننا قد نجد من ناحية أخرى محاولة للمواءمة بين معطيات بعض الفروع المتطورة في الدراسات اللغوية والأدبية والفنية، وبين بعض الأسس في علوم البلاغة التقليدية، يحدث ذلك على نحو خاص عندما تثار بعض قضايا" علم المعاني" وهو علم ينتمي أساساً إلى علم النحو الجمالي، في ضوء دراسات علم اللغة والدراسات النحوية الحديثة والدراسات الأسلوبية"[3].

---

(1) بدوي، أحمد : من بلاغة القرآن، ط، مكتبة نهضة مصر – الفجالة، الطبعة الثالثة، ص 9.

(2) حسان، تمام : المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول – المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، إبريل – سبتمبر 1987، ص 28.

(3) درويش ، أحمد : النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي ، ط دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، 1988 ، ص4.

ولا يعني ذلك أن علم المعاني يعد بديلاً عن الأسلوبية بمعناها الحديث، كما أن الأسلوبية لا تعد بديلاً عن علم المعاني في إطار فهم القدماء، أو فهمنا له، ولكن ما يمكن أن نخلص إليه هو إمكانية ربط المصطلح الحديث – أياً كان – مع مدلولاته في التراث العربي القديم، بهدف تعميق وعينا بالتراث، وتقريبه إلى الدارس من خلال النهوض به ليستفيد من الدراسات المعاصرة، التي تجعله أكثر ملاءمة لروح العصر، وليس مجرد الاعتماد عليه، ورفض كل ما هو جديد، فالقضية ليست بالجديد لجدته، أو بالقديم لقدمه، وإنما وجه الاستفادة يأتي من التأسيس على دراساتسابقة فيها من الصواب ما فيها، وفيها من الخطأ ما فيها، لنُكمل ما بدأ به الأوائل وفق تصورات جديدة، ليس في المصطلح فحسب، وإنما في الدلالة والمضمون أيضاً، وبذلك نكون قد بدأنا الدراسة مستعينين بأسس ثابتة يمكن تطويرها، وليس من نقطة البداية، التي تجعلنا نعود إلى البدايات الأولى كلما وجدنا مصطلحاً جديداً يفاجئنا بمفاهيم هي أصلاً موجودة في تراثنا النقدي والبلاغي القديم.

" فمن المؤكد أنه حدث تداخل بين اختصاصات البلاغة القديمة والأسلوبية الحديثة، غير أن البلاغة لم تعد قادرة على الاحتفاظ بكل حقوقها القديمة، التي كانت تناسب فترة معينة من ماضينا، والتي يجب على الباحث في الأسلوبية أن يضعها في اعتباره، وأن يحاول تعميقها على ضوء المناهج الجديدة، وبهذا يمكن للنقد أن يتصل بالأسلوبية في محاولة الكشف عن المظاهر المتعددة للنص الأدبي"(1).

ونحن لا نريد أن نفترض مصطلحاً بديلاً للأسلوبية بمعناها الحديث، ولكن نريد تحديد معناها، وعلاقتها بما تم تأصيله في التراث النقدي والبلاغي، وعندها يمكن الحكم عليها، وعلى مدى صلاحيتها كمنهج نقدي جديد يمكن الاعتماد عليه أو استبداله بما يتلاءم مع الأسس التي تم اعتمادها، والمتغيرات الجديدة التي يمكن إضافتها، فالقضية ليست قضية مصطلح جديد يمكن أن نتبناه، وأن نعتمده باعتباره كنقطة مفصلية جديدة في الدرس البلاغي والنقدي، بخاصة وقد عرفنا أنه ليس منهجاً متكاملاً، وإنما فيه قدر كبير من النقص وعدم الكفاية ليقوم بدور الريادة في مجال النقد والتحليل؛ صحيح أنه يقدم بعض التصورات الجديدة والمفيدة في الدراسات النقدية الحديثة، ولكن – في المقابل – لا يبتعد في كثير من منهجه عن الملاحظات التي وقف عندها البلاغيون العرب في حديثهم عن نظرية النظم، أو موضوعات علم المعاني، الأمر الذي يجعلنا نعيد النظر في الاعتماد على الأسلوبية كمنهج جديد في الدراسات النقدية الحديثة، ويفرض علينا إعادة تأصيل ما تم التوصل إليه في الدرس البلاغي القديم، ثم الخروج بتصور جديد يستفيد من الملاحظات التي تقدمها الدراسات النقدية الحديثة، ويطور من خلالها الملاحظات القديمة، ويخرج بتصور واضح حول مفهوم المصطلح المستخدم في الدراسات

(1) عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، ص 354.

البلاغية الحديثة، وعلاقته بما هو موجود أصلاً في دراساتنا السابقة، وجوانب التجديد التي تثري هذه الدراسات وتعمقها وفق المتغيرات التي تصاحب تطور المناهج الفكرية وطرق الإبداع ،"إن كل مصطلح هو بالضرورة مشروع مفتوح، يتغير مع كل تحول يمر عليه من فرد الى فرد ، ومن زمن الى زمن ، ومن لغة إلى لغة"(1).

خلاصة الموضوع :

خلاصة القول في الأسلوبية أنه برغم إفادتها من المعطيات الجديدة والدراسات اللغوية الحديثة، ومناهج التفكير العلمي،"فإن ثمة مجموعة من الدراسات التأصيلية الجادة تحفر بإصرار قنواته في فكرنا العربي الحديثولما كانت الدراسات الأسلوبية تراكمية في الدرجة ا لأولى، فإن أي إسهام – مهما كان جزئياً – يساعد على إنمائها وإقامتها"(2).

وهذا الإنماء يستفيد من كل الملاحظات التي تم تأصيلها، وهي ملاحظات – بلا شك – مفيدة في الدراسة الأسلوبية، لأنها تلتقي في كثير من جوانبها مع الأسس العامة التي اعتمدتها الأسلوبية الحديثة، ولا يقف الأمر – في ذلك – عند قضايا علم المعاني، وإنما يتجاوزها إلى تشكيلات الصورة الفنية في داخل النص من تشبيه واستعارة وكناية، فمثل هذه الصور هي في الأساس تشكيلات لغوية يتألف منها النص، وتساهم – بشكل خاص – في تقديم المعنى وخصوصيته، وهي لذلك اكثر وضوحاً في إقامة علاقة فنية متبادلة بين النص والمتلقي، وعلى أساسها يمكن فهم كثير من رموزه، و إيحاءاته الدالة،" فالصور البيانية والأشكال البلاغية – من المنظور الأسلوبي – ليست سوى أدوات لغوية يستطيع المؤلف باستخدامها أن يحقق ملامح التضاد والتناسب في النص مستثيرا عالما خيالياً جديداً ويمكن تصنيفها على هذا الأساس على أن يؤخذ في الاعتبار دائماً دور السياق الحاسم عند كل تحقيق متعين"(3).

والسياق في العمل الأدبي، لا يمكن أن يستقيم في لغة وظيفية محددة وإنما يكتسب خصوصية استخدام اللغة، وخروجها عن النمط المألوف، واعتمادها وسائل فنية، أشار إليها البلاغيون العرب القدماء في معرض حديثهم عن السياق"وتجدر الإشارة هنا إلى أن عبد القاهر الجرجاني قد أكد قبل ريتشارد وغيره من النقاد الغربيين المعاصرين أهمية السياق الذي

---

(1) زيّاد ، صالح عزم الله : عالم الفكر ، المجلد الثامن والعشرون – العدد الثالث يناير / مارس 2000 ، ص 100.

(2) فضل، صلاح : ظواهر أسلوبية في شعر شوقي، مجلة فصول – المجلد الأول، العدد الرابع، يوليو 1981، ص 209، 210.

(3) فضل، صلاح :علم الأسلوب، مبادئه و إجراءاته، ط مؤسسة مختار للنشر والتوزيع – القاهرة 1992، ص156، 157.

وجدت فيه الاستعارة، وبين أن المبالغة التي تدعى للاستعارة ليست في المعنى نفسه الذي يقصد إليه المتكلم، ولكن في طريقة إثباته للمعنى وتقريره إياه . ورأى أن المحاسن التي هي السبب في النظم وهي الاستعارة والتمثيل والكناية، وضروب المجاز المختلفة تشكل العناصر التصويرية للمعنى، وهذه المحاسن التي ينشأ عنها النظم تشكل العلاقات الأسلوبية بين الألفاظ وهي مواطن البلاغة، وهو ما عبر عنه بالنظم ، فلا تكون للكلمة مزية إلا وفق موقعها من الكلام، وتآزر دلالتها مع جاراتها الداخلة معها في التركيب، لأن الكلمة قد تقبح في موضوع، وتحسن بنفسها في موضوع آخر، والذي يحدد ذلك هو السياق، ولا شيء غيره"[1].

وبتأسيساً على ما سبق، فإن مصطلح الأسلوبية لا يمكن أن يؤخذ على أنه كشف جديد لشيء غير معروف أصلاً، فلدينا من التراث النقدي والبلاغي ما يقترب من مفهوم الأسلوبية، أو يؤصل لها، وربما تكون الاستفادة منه أكبر من الاستفادة مما هو موجود في الأسلوبية، وكل ما يحتاجه الدارس هو كيف يوظف التراث توظيفاً جديداً، وفق المتغيرات التي واكبت مختلف مجالات الحياة، ويستفيد مما هو موجود أصلاً، وما يمكن أن يستجد، ويستفيد من التجربتين، ولا يجعل لأحدهما سبقاً على الآخر، فالأمر لا يتعلق بمصطلح جديد، أو البحث عن مسميات جديدة، وإنما بالفائدة التي لا تلغي القديم لقدمه، ولا تأخذ بالجديد لجدته.

مصادر البحث ومراجعه :

1- إسماعيل، عز الدين : قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول – المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، إبريل – سبتمبر 1987.
2- بدوي، أحمد : من بلاغة القرآن، ط مكتبة نهضة مصر – الفجالة، الطبعة الثالثة.
3- الجرجاني، عبد القاهر : دلائل الإعجاز، ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، الطبعة السادسة 1380هـ – 1960م
4- الجويني، مصطفى الصاوي : المعاني – علم الأسلوب، ط دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية 1996م
5- حسان، تمام :المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول – المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، إبريل – سبتمبر 1987م
6- درويش، أحمد : الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه الأسلوبية، مجلة فصول، المجلد الخامس العدد الأول، أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر 1984م

(1) أبو العدوس، يوسف : الاستعارة في النقد الأدبي الحديث"الأبعاد المعرفية والجمالية" – الأهلية للنشر والتوزيع – الأردن، ط1 – 1977، ص117، 118.

7- أبو زيد، نصر: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية، مجلة فصول – المجلد الخامس، العدد الأول 1984.

8- زيّاد، صالح عزم الله: عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث – يناير / مارس 2000م.

9- السبكي، بهاء الدين: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (مطبوع في كتاب شروح التلخيص) القاهرة، 1937م.

10- الساكي، أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

11- السيد، شفيع: الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، ط دار الفكر العربي، القاهرة 1407هـ – 1986م.

12- أبو شاويش، حماد: مشكلة المصطلح في النقد الحديث، مجلة كلية التربية – المجلد الأول، العدد الأول، يناير 1997م.

13- صمود، حمادي: في نظرية الأدب عند العرب، ط النادي الأدبي الثقافي بجدة – المملكة العربية السعودية، العدد 64، 1411هـ/1990م.

14- الطرابلسي، الهادي: الأسلوبية، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الأول – أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر 1984م.

15- عبد الرحيم، محمد: أزمة المصطلح في النقد القصصي، مجلة فصول – المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، إبريل – سبتمبر 1987م.

16- عبد المطلب، محمد: قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م – البلاغة والأسلوبية، ط الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الطبعة الأولى، 1994م.

17- أبو العدوس، يوسف: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث "الأبعاد المعرفية والجمالية" – ط الأهلية للنشر والتوزيع – الأردن، ط1 – 1977م.

18- عياد، محمود: الأسلوبية الحديثة، محاولة تعريف، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، يناير 1981م.

19- فضل، صلاح: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.

20- الموسوي، محسن جاسم: مرجعيات نقد الشعر العربي الحديث في الخمسينات، مجلة فصول – المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، ج2، خريف 1996م.

21- منذور، محمد: في الميزان الجديد، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة.